هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ

تَأَخُّرُ عَلِيٍّ وَأَبِي بَكْرٍ فِي الهِجْرَةِ:

أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا على بن أبى طالب وأبا بكر الصديق، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا**» فيطمع أبو بكر أن يكونه[1].

الإِذْنُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالهِجْرَةِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٠][2].

فِي دَارِ النَّدْوَةِ

وبينما كان النبى ﷺ يعد نفسه للهجرة، وإذا بالمشركين يدبرون تلك المؤامرة الحقيرة لقتل النبى ﷺ، قال الشيخ الغزالى: واجتمعت طواغيت"مكة" فى دار الندوة؛ ليتخذوا قرارًا حاسمًا فى هذا الأمر فرأى بعضهم أن توضع القيود فى يد محمد ﷺ ويشد وثاقه ويرمى به فى السجن لا يصله منه إلا الطعام ويترك على ذلك حتى يموت، ورأى آخر أن ينفى من مكة فلا يدخلها وتنفض قريش يديها من أمره وقد استبعد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما واستقر الرأى على الاقتراح الذى أبداه "أبو جهل" قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا وسطًا فتيًّا، ثم نعطى كل فتى سيفًا صارمًا ثم يضربونه - جميعا- ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها، ولا أظن بنى هاشم يقوون على حرب قريش كافة فإذا لم يبق أمامهم إلا الدية أديناها.

ورضى المؤتمرون بهذا الحل للمشكلة التى حيرتهم وانصرفوا؛ ليقوموا على إنقاذه

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٩٥.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٩٥.

وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] (١) .

بَيْنَ تَدْبِيرِ قُرَيْشٍ وَتَدْبِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

وكان هذا مكرًا من قريش ولكنهم ماكروا بذلك الله - سبحانه وتعالى- فخيبهم من حيث لا يشعرون؛ فقد نزل جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ بوحى من ربه تبارك وتعالى فأخبره بمؤامرة قريش وأن الله قد أذن له فى الخروج، وحدد له وقت الهجرة وبين له خطة الرد على قريش فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه، وذهب النبى ﷺ فى الهاجرة (٢) إلى أبى بكر رضى الله عنه؛ ليبرم معه مراحل الهجرة.

قالت عائشة فيما يروى البخارى: فبينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبى ﷺ: لأبى بكر: «**أخرج من عندك**» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله؟ قال: «**فإن قد أذن لى فى الخروج**»، فقال أبو بكر: الصحبة بأبى أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم**» فقال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله ﷺ إحدى راحلتى هاتين؛ راحلتان كانتا عنده علفهما؛ ليصحب رسول الله ﷺ فى الهجرة - قال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**».

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز وضعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب؛ فبذلك سميت ذات النطاقين(٣).

وانطلق رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده الناس، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته(٤).

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) الهاجرة حين يستريح الناس في بيوتهم.

(٣) النطاق: في طبقات ابن سعد أنها شقت نطاقها فأوكأت بقطعة من الجراب وشدت فم الجراب بالباقي فسميت ذات النطاقين.

(٤) فقه السيرة للبوطي ١٣٩ - ١٤٠، الرحيق المختوم ١٥٣.

الرَّسُولُ ﷺ يُغَادِرُ بَيْتَهُ:

وفى ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يرصدونه متى ينام فيثبون عليه ؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبى طالب: «**نَمْ على فراشى وتسج**[١] **ببردى هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**» وكان رسول الله ﷺ ينام فى برده ذلك إذا نام.

ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فى يده وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات من: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ [يس: ١ - ٩].

حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد سقط على رأسه التراب ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمدًا ، قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًّا على الفراش - مسجّى ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا عليه برده ؛ فلم يبرحوا كذلك ؛ حتى أصبحوا فقام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا[٢].

فِى غَارِ ثَوْرٍ:

غادر رسول الله ﷺ بيته فى ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢/ ١٣ سبتمبر سنة ٦٢٢م إلى بيت رفيقه أبى بكر ، ثم خرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ؛ ثم عمد إلى غار ثور- جبل أسفل مكة فدخلاه [٣] ولَمَّا علم النبى ﷺ أن قريشًا ستجدُّ فى الطلب وأن الطريق الذى ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة

---

(١) تسج: غطٌ به جسدك ووجهك.

(٢) ابن هشام ١ / ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٣) ابن هشام ١ / ٣٠٠.

الرئيسى المتجه شمالاً ، فسلك الطريق الذى يضاده تماما وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن ؛ ولَمَّا انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله ؛ حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابنى دونك فدخل فكسحه ، ووجد فى جانبه ثقبًا فشق إزاره وسدها به وبقى منها اثنان فألقمهما رجليه ثم قال لرسول الله ﷺ : ادخل فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه فى حجر أبى بكر ، ونام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك مَخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: «ما لك يا أبا بكر؟» قال: لُدِغت فداك أبى وأمى فتَفَلَ رسول الله ﷺ فذهب ما يجده .

وكمنا فى الغار ثلاث ليال ليلة الجمعه وليلة السبت وليلة الأحد ، وكان عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما قالت عائشة: وهو غلام شاب ثقف[١] لقن[٢] فيدلج[٣] من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرًا يكتادان[٤] به إلا وعاه ؛ حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل ، وهو لبن منحتهما ورضيفهما ؛ حتى ينعق [٥] بها عامر بن فهيرة يغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث ، وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبى بكر بعد ذهابه إلى مكة ؛ ليعفى عليه[٦] .

مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟

أما قريش فقد جن جنونها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله ﷺ صباح ليلة تنفيذ المؤامرة ، فأول ما فعلوا بهذا الصدد أنهم ضربوا عليًّا وسحبوه إلى الكعبة ، وحبسوه ساعة علهم يظفرون بخبرهما .

ولما لم يحصلوا من عليٍّ على جدوى جاءوا إلى بيت أبى بكر ، وقرعوا بابه فخرجت إليهم أسماء بنت أبى بكر فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدرى والله أين أبى؟ فرفع أبو

---

(١) ثقف: حاذق .
(٢) لقن: سريع الفهم .
(٣) فيدلج: فيخرج .
(٤) يكتادان: يطلب لهما فيه المكروه وهو من الكيد .
(٥) ينعق: يصيح .
(٦) الرحيق المختوم ١٥٥ - ١٥٦ .

جهل يده - وكان فاحشًا خبيثًا- فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها ، وقررت قريش فى جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التى يمكن بها القبض على الرجلين ؛ فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة (فى جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدها إلى قريش حيَّين أو ميتَين كائنًا من كان .

وانطلق مشركو مكة فى آثار المهاجرين يرصدون الطرق ، ويفتشون كل مهرب وراحوا ينقبون جبال مكة وكهوفها ؛ حتى وصلوا إلى باب الغار وأنصت الرسول ﷺ وصاحبه إلى أقدام المطاردين تخفق إلى جوارهم فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث رسول الله ﷺ : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ، فقال الرسول: «**يا أبا بكر.. ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» [١] .

فِى الطَّرِيقِ إِلَى المَدِينَةِ :

وحين خمدت نار الطلب وتوقفت أعمال دوريات التفتيش وهدأت ثائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة .

وكان قد استأجر عبد الله بن أريقط الليثى وكان هاديًا خريتًا [٢] وكان على دين كفار قريش وأمناه على ذلك وسلما إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما .

فلما كانت ليلة الاثنين - غرة ربيع الأول سنة١هـ/ ١٦ سبتمبر سنة ٦٢٢هـ جاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر - رضى الله عنه- وارتحل معهما عامر بن فهيرة وأخذ بهم الدليل - عبد الله بن أريقط - على طريق السواحل .

وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن فى اتجاه الجنوب نحو اليمين ثم اتجه غربًا نحو الساحل حتى وصل إلى طريق لم يألفه الناس اتجه شمالاً على مقربة من

---

(١) الرحيق المختوم ١٥٦ ، سيرة الرسول أبو عمار ٢٠١ .

(٢) خريتا: ماهرا بالطريق .

شاطئ البحر الأحمر وسلك طريقًا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرًا[١] .

بَعْضُ مَا وَقَعَ فِى الطَّرِيقِ :

عن أنس رضى الله عنه قال: أقبل نبى الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ونبى الله ﷺ شاب لا يعرف قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل ، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى: الطريق ، وإنما يعنى: سبيل الخير .

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا ؛ فالتفت نبى الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه**» فصرعه الفرس ، ثم قامت تحمحم فقال: يا نبى الله ﷺ مُرْنِى بما شئت ، قال: «**قف مكانك لا تتركنَّ أحدًا يلحق بنا**» قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبى الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له[٢] .

وفى اليوم الثانى أو الثالث مَرَّ بخيمتى أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبى بفناء الخيمة ثم تسقى وتطعم مَنْ مَرَّ بها فسألاها: هل عندها شيء؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشتاء عازب وكانت سنة شهباء .

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**» . قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال: «**هل بها من لبن؟**» قالت: هى أجهد من ذلك فقال: «**أتأذنين لى أن أحلبها؟**» قالت: نعم بأبى وأمى إن رأيت بها حلبًا فاحلبها ، فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها وسمَّى الله ودعا فتفاجت عليه ، ودرَّت فَدَعَا بإناء لها يربض[٣] الرهط فحلب فيه ؛ حتى علته الرغوة فسقاها فشربت ؛ حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب وحلب فيه ثانيًا ؛ حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها فارتحلوا فما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنُزًا عجافًا يتساوكن هزلاً فلما رأى اللبن عجب قال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب ولا حلوبة فى البيت؟ فقالت: لا والله . . إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، ومن حاله كذا وكذا قال: إنى والله أراه صاحب قريش الذى تطلبه ، صفيه لى يا أم معبد فوصفته بصفاته الكريمة وصفًا بديعًا كأن السامع

---

(١) الرحيق المختوم ص ١٥٧ مختصرًا .

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٢٠٦ .

(٣) يربض: يسقى .

ينظر إليه وهو أمامه فقال أبو معبد: والله هذا صاحب قريش الذى ذكروا من أمره ما ذكروا ؛ لقد همت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً وأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعونه ولا يرون القائل:

جزى الله رب العرش خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به ... وأفلح من أمسى رفيق محمد

فيا ليقصى ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا يحاذى وسؤدد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

قالت أسماء: ما درينا أين توجه رسول الله ﷺ إذا أقبل رجل من الجن أسفل مكة فأنشد هذه الأبيات ، والناس يتبعونه ويسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلاها قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة[١] .

من حديث سراقة بن مالك بن جعشم رضى الله عنه قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج إذ أقبل رجل منهم ؛ حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إنى قد رأيت آنفا[٢] أسودة[٣] بالساحل أراها محمدًا وأصحابه قال سراقة: فعرفت أنهم هم ، فقلت: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيينا ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت قد خلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة[٤]- فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عالية ؛ حتى أتيت بفرسى فركبتها فرفعتها تقرب بي ؛ حتى دنوت منه فعثرت بي فرسي فخررت عنها [٥] فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى ؛ فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره .

فركبت فرسى - وعصيت الأزلام- تقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ

---

(١) الرحيق المختوم ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) آنفا: حالا .

(٣) أسودة: أشخاص

(٤) أكمة: ربوة مرتفعة أو تلة .

(٥) فخررت عنها: سقطت عنها .

وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت[١] يدا فرسى فى الأرض ؛ حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها ، فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان[٢] ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا ؛ فركبت فرسى حتى جئتهما ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى ولم يسألانى إلا أن قال: «**أخف عنا**» فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من آدم ثم مضى رسول الله ﷺ [٣] .

وفى الطريق لقى النبى ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمى ومعه نحو ثمانين بيتًا فأسلم وأسلموا وصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخر فصلوا خلفه ، وأقام بريدة بأرض قومه ؛ حتى قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد ، وعن عبد الله بن بريدة أن النبى ﷺ كان يتفاءل ولا يتطير فركب بريدة فى سبعين راكبًا من أهل بيته من بنى سهم فلقى النبى ﷺ فقال له: «**ممن أنت؟**» قال: من أسلم ، فقال: لأبى بكر: سلمنا ثم قال: «**مِنْ بنى مَنْ؟**» قال: من بنى سهم قال: «**خرج سهمك**» [٤] .

٥- ومر رسول الله ﷺ بأبى أوس تميم بن حجر أو بأبى تميم أوس بن حجر الأسلمى بقحداوات بين الجحفة وهرشى - بالعرج- وكان قد أبطأ عليه بعض ظهره فكان هو وأبو بكر على جمل واحد ؛ فحمله أوس على فحل من إبله وبعث معهما غلامًا له اسمه مسعود وقال: اسلك بهما حيث تعلم من محارم الطريق ولا تفارقهما ؛ فسلك بهما الطريق حتى أدخلهما المدينة ثم رد رسول الله مسعودًا إلى سيده ، وأمره أن يأمر أوسًا أن يسمَّ - إبله فى أعناقها قيد الفرس وهو حلقتان ومد بينهما مدًّا ؛ فهى سمتهم ، ولَمَّا أتى المشركون يوم أحد أرسل أوس غلامه مسعود بن هنيدة من العرج على قدميه إلى رسول الله

---

(١) ساخت: غاصت .

(٢) عثان: غبار ساطع إلى السماء .

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٤) الرحيق المختوم ص ١٦٠ .

ﷺ يخبره بهم - ذكره ابن ماكولا عن الطبرى وقد أسلم بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة وكان يسكن العرج[١].

٦- وفى الطريق - فى بطن رئم - لقى رسول رسول الله - الزبير وهو فى ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام؛ فكسا الزبير رسول الله وأبا بكر ثيابًا بياضًا[٢].

قُدُومُ النَّبِىِّ ﷺ قباء:

وسمع المسلمون بالمدينة بمَخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه؛ حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود إلى أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبّضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول - سنة ١٤ من النبوة- فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتًا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر؛ حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر؛ حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، قال الإمام ابن القيم: وسمعت الرَّجّة والتكبير فى بنى عمرو بن عوف وكبر المسلمون فرحًا بقدومه وخرجوا للقائه فتلقوه وحيّوه بتحية النبوة فأحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه والوحى ينزل عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤][٣] ونزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهدم؛ وقيل: بل على سعد بن خيثمة والأول أثبت، ومكث على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة ثلاثًا؛ حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ثم هاجر ماشيًا على قدميه حتى لحقهما بقباء ونزل على كلثوم بن الهدم[٤].

---

(١) الرحيق المختوم ص ١٦٠.
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٢١١.
(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٢١١.
(٤) الرحيق المختوم ص ١٦١.

بِنَاءُ مَسْجِدِ قبَاء:

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده ومسجد قباء هو أول مسجد بنى فى الإسلام [١].

فلما كان اليوم الخامس يوم الجمعة ركب بأمر الله له وأبو بكر ردفه وأرسل إلى بنى النجار أخواله فجاءوا متقلدين سيوفهم فسار نحو المدينة وهم حوله وأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فجمع بهم فى المسجد الذى فى بطن الوادى وكانوا مائة رجل [٢].

الدُّخُولُ فِي المدِينَة:

ثم سار النبى ﷺ بعد الجمعة حتى دخل المدينة، ومن ذلك اليوم سمِّيت بلدة يثرب بمدينة الرسول ﷺ ويعبر عنها بالمدينة مختصرًا، وكان يومًا مشهودًا أغر فقد ارتجت البيوت والسكك بأصوات الحمد والتسبيح وتغنت بنات الأنصار بغاية الفرح والسرور:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع [٣]
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبًا يا خير داع

والأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «**خلّوا سبيلها؛ فإنها مأمورة**» فلم تزل سائرة؛ حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم فبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فى موضعها الأول فنزل عنها، وذلك فى ديار بنى النجار أخواله ﷺ وكان من توفيق الله لها فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم وبادر أبو أيوب الأنصارى إلى رحله فأدخله بيته فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**المرء مع رحله**» وجاء أسعد بن زرارة فأخذ

---

(١) ابن هشام ١ / ٣٠٨.
(٢) المصدر الأول ١٦١ - ١٦٢.
(٣) الرحيق المختوم ص ١٦٢.

بـزمام راحلـته فكانـت عـنده وفى رواية أنس عند البخارى قال نبى الله ﷺ : «**أى بيوت أهلنا أقرب؟**» فقـال أبـو أيوب: أنا يا رسول الله ﷺ ؛ هذه دارى ، وهذا بابى قال: «**فانطلق فهيئ لنا مَقيلاً**» قال: قومَا على بركة الله [١] .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى بَيْتِ أَبِى أَيُّوب :

قال ابن إسحاق: عن أبى رهم السماعى: قال: حدثنى أبو أيوب قال: لَمَّا نزل عليَّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له: يا نبى الله بأبى أنـت وأمى إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك ، وتكون تحتى ، فاظهر أنت فكن فى العلو وننـزل نحن فنكون فى السفل ، فقال: «**يا أبا أيوب إنه أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سُفل البيت**».

قـال: فكان رسول الله ﷺ فى سُفله وكنا فوقه فى المسكن ؛ فلقد انكسر حُبٌّ [٢] لنا فيه ماء قمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ، ننشف بها الماء ؛ تخوفًا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه .

قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه ؛ نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثـومًا فرده رسول الله ﷺ ولم أر لديه فيه أثرًا قال: فجئته فزعًا فقلت: يا رسول الله ﷺ بأبـى أنـت وأمى رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيـوب موضـع يـدك ؛ نبتغى بذلك البركة قال: «**إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجـل أناجـى، فأمـا أنـتم فكلوه**» قال: فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد ، قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ فى بيت أبى أيوب ؛ حتى بنى له مسجده ومساكنه ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب رضى الله عنه[٣] .

إِصَابَةُ المهَاجِرِينَ بِحُمَّى المدِينَةِ :

وبعـد أيـام وصـلت إلـيه زوجـته سودة وبنتاه فاطمة وأم كلثوم وأسامة بن زيد وأم أيمـن ، وخـرج معهم عبد الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر ومنهم عائشة وبقيت زينب عند

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٢١٥ - ٢١٦ .
(٢) الجرة أو الضخمة منها .
(٣) ابن هشام (١ / ٣١٠ - ٣١١) .

أبى العاص لم يمكنها من الخروج .

قالت عائشة: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله فكان بطحان يجرى نجلاً أى: ماء آجنًا .

وقَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلالٌ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ[1]:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ ... وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**»[2] . .

فاستجاب الله تعالى دعاء النبي وأخرج الحمى إلى الجحفة .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ؛ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ وَهِيَ الْجُحْفَةُ فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا**»[3][4] .

العِبَرُ والعِظَاتُ:

تحمل هجرته ﷺ الكثير من العبر والدلائل والمعجزات ومنها ما يلى:

١- من أبرز ما يظهر لنا من قصة هجرته ﷺ استبقاؤه لأبى بكر رضى الله عنه دون غيره من الصحابة ؛ كى يكون رفيقه فى هذه الرحلة وقد استنبط العلماء من ذلك مدى محبة الرسول ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه وأنه أقرب أصحابه إليه وأولاهم بالخلافة من بعده ، ولقد عززت هذه الدلالة أمور كثيرة أخرى مثل استخلافه ﷺ له فى الصلاة

---

(١) البخاري ١٨٨٩ .

(٢) الرحيق المختوم ١٦٢ - ١٦٣

(٣) البخاري ٧٠٣٨ .

(٤) سيرة الرسول أبو عمار ص ٢٢١ .

بالناس عند مرضه ، وإصراره على أن لا يصلى عنه غيره ومثل قوله فى الحديث الصحيح: «**لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**» (١) .

ولقد كان أبو بكر رضى الله عنه - كما رأينا- على مستوى هذه المزية التى أكرمه الله بها ، فقد كان مثال الصاحب الصادق بل والمضحى بروحه ؛ وكل ما يملك ما أجل رسول الله ﷺ ولقد رأينا كيف أبى إلا أن يسبق رسول الله ﷺ فى دخول الغار ؛ كى يجعل نفسه فداءً له ﷺ فيما إذا كان فيه سبع أو حية أو أى مكروه ينال الإنسان منه الأذى ، ورأينا كيف جند أمواله وابنه وابنته ومولاه وراعى أغنامه فى سبيل خدمة رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة الشاقة الطويلة .

ولعمرى إن هذا ما ينبغى أن يكون عليه شأن كل مسلم آمن بالله ورسوله ولذا يقول رسول الله ﷺ : «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢) .

٢- قد يخطر فى بال المسلم أن يقارن بين هجرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهجرة النبى ﷺ ويتساءل: لماذا هاجر عمر علانية متحديًا المشركين دون أى خوف ووجل على حين هاجر رسول الله ﷺ مستخفيًا محتاطًا لنفسه؟ أيكون عمر بن الخطاب أشد جرأة من النبى ﷺ ؟! .

والجواب: أن عمر بن الخطاب أو أى مسلم آخر غير رسول الله ﷺ يعتبر تصرفه تصرفًا شخصيًا لا حجة تشريعية فيه ؛ فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما يحلو له وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى .

أما رسول الله ﷺ فهو مشرِّع ؛ أي: أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تعتبر تشريعًا لنا ؛ لذلك كانت سنته هى المصدر الثانى من مصادر التشريع ، مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريره فلو أنه فعل كما فعل عمر لحسب الناس أن هذا هو الواجب! وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر والتخفى عند الخوف مع أن الله عز وجل أقام شريعته فى هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها ، وإن كان الواقع الذى - لا شك فيه- أن ذلك

---

(١) مسلم ٧ / ١٠٥ .

(٢) متفق عليه .

بتسبيب الله تعالى وإرادته .

لأجل ذلك استعمل الرسول ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التى يهتدى إليها العقل البشرى فى مثل هذا العمل ؛ حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتدَّ بها واستعملها ؛ ليوضح بذلك أن الإيمان بالله - عز وجل- لا ينافى استعمال الأسباب المادية التى أرادت حكمة الله عز وجل أن تكون أسبابًا .

وفى تخلف على رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى أداء الودائع التى كانت عنده إلى أصحابها دلالة باهرة على التناقض العجيب الذى كان المشركون واقعين فيه ، ففى الوقت الذى كانوا يكذبونه ويرونه ساحرًا أو مخادعًا لم يكونوا يجدون من حولهم من هو خير منه أمانة وصدقًا فكانوا لا يضعون حوائجهم وأموالهم التى يخافون عليها إلا عنده! وهذا يدل على أن كفرهم لم يكن بسبب الشك لديهم فى صدقه ، وإنما هو بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذى جاء به وخوفًا على زعامتهم وطغيانهم .

٤- ثم إننا نلمح فى النشاط الذى كان يبذله عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنه ذاهبًا آيبًا بين الغار ومكة ؛ يتحسس الأخبار وينقلها إلى رسول الله - عز وجل- وأبيه ، وفيما عمدت إليه أخته أسماء من الجد في تهيئة الزاد والرحلة واشتراكها في إعداد العدة لتلك الرحلة نلمح في ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكورًا ونساءً في سبيل الله عز وجل ، ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامى فلا يكفى أن يكون الإنسان منطويًا على نفسه مقتصرًا على عبادته ؛ بل عليه أن يستنفد طاقاته وأوجه نشاطه كلها ؛ سعيًا فى سبيل الإسلام .

أما ما حدث لسراقة وفرسه وهو يلحق برسول الله ﷺ فينبغى أن لا يفوتنا أنها معجزة خارقة لرسول الله ﷺ ؛ اتفق أئمة الحديث على صحتها ونقلها وفى مقدمتهم البخارى ومسلم .

ومن أبرز المعجزات الخارقة فى قصة هجرته ﷺ خروجه ﷺ من بيئته وقد أحاط به المشركون يتربصون به ؛ ليقتلوه فقد علق النوم بأعينهم جميعًا ؛ حتى لم يحس به أحد منهم ، وكان من تتمَّة السخرية بتآمرهم على حياته ما امتلأت به رؤوسهم من التراب الذى ألقاه رسول الله ﷺ على رسولهم إذ خرج من بينهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس: ٩] .

لقد كانت هذه المعجزة بمثابة الإعلان لهؤلاء المشركين وغيرهم فى كل عصر ووقت بأن ما قد يلاقيه الرسول وصحبه من ألوان الاضطهاد والعذاب على أيديهم مدَّة من الزمن فى سبيل دينه لا يعنى أنه قد تخلى عنهم ، وأن النصر قد ابتعد عن متناولهم فلا ينبغى للمشركين وعامة أعداء الدين أن يفرحوا ويستبشروا بذلك ؛ فإن نصر الله قريب ، وإن وسائل هذا النصر توشك أن تتحقق بين كل لحظة وأخرى .

وتكشف لنا الصورة التى استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله ﷺ عن مدى المحبة الشديدة التى كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً .

وهذا يدلنا أن محبة رسول الله ﷺ ليست في مجرد الاتباع له ؛ بل المحبة له هي أساس الاتباع وباعثه فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وجد وازع يحمل على الاتباع في العمل[1] .

إلى هنا ينتهي القسم الأول من حياته ﷺ بعد النبوة - العهد المكي- ونبدأ في القسم الثاني - العهد المدني- حتى وفاته ﷺ وبالله التوفيق .

* * *

(١) فقه السيرة للبوطي ١٤٣ - ١٤٧ .